

مساءوات لا تُغد لنا

شعر

منار رامودة





مبسات لا غد لها

ديوان شعري

مزار رامودة

لوحة الغلاف: الفنانة التشكيلية بشرى الخطيب

"إن كان لا شيء، سينقذنا من الموت
فلينقذنا الحب من الحياة على الأقل"

بابلو نيرودا



يرك

أتوق إلى يدك
تلك التي
أهوي منها
نحو هلاكي المؤكد

يدك تلك التي
تداعب قلبي
كما تداعب نسائم صيف
وجنة زهر محتشد
للموت على طاولة أشعارك

وجهك لحظة هاربة
من زمن جائر
أمنية قلب حزين
باغتته دقائق حب زائر

أتوق إلى الندى الذي
تركناه على أجسادنا
كوصية لكل مسافر
أو عاشق عابر

رب صدقة حب
خير من ألف ميعاد



قفزة في الأبرية

في البدء كنا مجرد حركة

بين جفن ناعم

ورمش نائم

في المدى

وحين تعالت أصوات الحنين بصدورنا

صرنا يدا واحدة

تتلمس طريقها نحو خلاصها

حك قفزة في الأبدية

خلود وجهين لقلب واحد

انتصر على الحياة بقبلة

في البدء كنا مجرد اسمين

من زمن عابر

مجرد جسدين من ماء وطنين

إلى أن رأيتك فنبتت بالقلب

زهور العيد

في الطريق

في طريق العودة إلى نفسي
صادفت وجوها كثيرة

رأيت عصفورا يرثي عصفورة
بقصيدة شعر قديمة

قابلت سنبلة قمح فلسطينية
تلوح في الفضاء بقميص أحمر
كتبت عليه جملة بخط كبير
سيدكرني التاريخ دون حاجة لأعرف من نفسي
لي ألف جيل وجيل يحملني بين الحشا
يقتلني صدقه كلما باركت أم جنة شهيدها

في طريق العودة إلى نفسي
واجهت عواصف قوية
تجاوزتها جميعها بعد شهيق وزفير

التقيت بمن نسيت أن أنساهم
ويأولئك الذين عنوة نسيتهم
ولم أفرق بينهما سوى
بوخر خفيف في جلد يدي

في الطريق سألت الطريق
شقائق النعمان أم زهر النسرين
أحمل معي لرحلتي القادمة؟

أجاب: متعة الرحلة أن تمشين خفيفة
دون أثقال ولا أحزان
□

لا غدا سيأتي

كنت أعرف أن لا غدا سيأتي
بعدها باحت الوردة بسرهما للريح

وحده وقع الناي على أذناي
يداعب ويهدد بخفة أناي الجريح

كنت أعرف إلا رجلا سيشبه ذاك الذي
رسمته على ورق دفتري
ذات فصل خريف

أذهب هناك حيث لا أحد يلتفت للآخر
لا لنجواه ولا لشكواه
كل يبحث عن نفس فقدتها عند مسافر
أو عابر مر ذات ليلة عبر شرفة الأحلام المسروقة

كنت أعرف أن لا غدا سيأتي
يشابه تلك المساءات الدافئة
كنت بقعة ضوء وقعت بقلبي
فاحتل نورك الفضاء وصرت مجرد لاجئة
هارية من برد القصف إلى برد الغربة

كنت أعرف أن لا غدا سيأتي
أشعر فيه أنني لا زلت تلك التي عرفتھا



ليل مدينتي

أرسم الليل ساحات عيد مزينة بضحكات الشهداء
أنفخ في السماء فتلون النجوم بألوان الحب
نرقص ونضحك بلا أعباء نحملها
سوى بعض من الحنين وكثير من الصخب

أعاقق آخر الناجين من حروب العشق
ونشرب معا نخب الهزيمة
بعيدا هناك، تبني معا بيتا جديدا للبشرية
حيث لا يسأل عصفور عن جواز سفر
ولا أوراق هوية

الليل في مدينتي لا ملامح له ولا أغنية
تصف عمق جراحه الفائرة

وحدي هنا أصفق للحياة
وأعترف لها بانتصارها علينا

لا تنسى أن تنسى

وأنت ذاهب إلى منفاك الجديد
لا تنسى أن تنسى ما حصل
لا تنسى أن تتبنى لنفسك قلبا من حديد
وأن تكتب على جدران قدرك
مغلق قيد الإصلاح

وأنت ذاهب إلى منفاك الجديد
لا تنسى أن تنساهم جميعا
فلا أمل يرجى من كسر ضارب في عمق الروح
مصر كل مرة على توبيخ يدك
التي مددتها لهم لخنقك

اتركهم جميعا وراءك ولا تلتفت
حتى وإن تركت وراءك قيتارة جميلة هادئة الأوتار
حتى وإن تركت وراءك حديقة حبلى بالأزهار
حتى وإن تركت وراءك جنتان من أقمار وأشجار

وأنت ذاهب إلى منفاك تأكد
ألا أحد سواك يتربع على عرش الوحدة

كُنَّا أطفالا

في ذلك المساء كنا أطفالا
لا شيء يمنعنا من الحلم
ولا شيء يفصلنا عن الجنة
لا حلال ولا حرام
لا أبيض ولا أسود
كانت قدم أمي الجنة
وكان حضن أبي الحياة

في ذلك المساء كنا أطفالا
نمسك بيد السحاب ونجري سويا
نحو شمس بلدتنا الذهبية
نرسم على الحجر أولى حروف أسمائنا
ونغني لأميمة الخليل ومارسيل أغنية
نردد خلف جارنا الثوري
ما كتبه درويش
سجل أنا عربي!

في ذلك المساء كنا أطفالا
نحسب صوت القنابل إعلانا عن زفاف شهيد
صنعه قدره بطلا وشباب حيننا
كان القضية

في ذلك المساء كنا أطفالا
نشرب من النهر ونغازل وجوهنا المطلة
على مياهه الشديدة اللمعان

في ذلك السماء كنا أطفالا
أي أننا كنا شجرا، مطرا
طيورا، كروم عنب
كأس شاي بعد القيلولة

في ذلك المساء كنا لا نعلم بأننا سنكبر
فيتغير وجه الأشياء
فيصبح الممكن مستحيلا
ونفقد معه سحر الطفولة

اليوم وقد كبرنا لا غدا لمساءتنا البعيدة
ليتنا لم نكبر
ليتنا لم نكبر

العابرون

نعبر حياتهم كما تعبر ظلال شمس وجه جبل نائم
لا هم تذكروا من نكون ولا نحن نسيناهم

نعبر حياتهم كمن تمحي الريح بصمات قدمه الرملية
مع كل نسيم يحمل أمنية
ولا يبالي لمن محى لحظاتهم الأخيرة

نعبر ويعلقون بالذاكرة
نعبر وذكراهم خالدة
لا رجاء لنا سوى
أن ينخر الحنين قلوبهم
فتحن وتئن لنا
نحن صنعناهم
نحن بنينا لهم التماثيل
وجعلنا حبههم دار عبادة

نحن من جعلنا لكلماتهم قدسية
ولغزلهم وقع قصائد تتلى
على مسامع أهل الحب

نعبّر حياتهم ولا يزلزل الشوق أحشاءهم
لا بسمّة، لا أغنية، لا دندنة صيف قائل
تحيي بهم ذكرانا

عجبي لهم عجبي لنا
نعبّر ويعبرون
لا هم تذكروا من نكون ولا نحن نسيناهم
□

قال

قال قلبه اشتكى
أتعبه أنين النوى
قلت عجبي من الهوى
أينال قلبي الموت
وينال قلبه بعض الأسى؟

عجبي من ظلم الهوى
حرق قلبينا ولم يبال
دفن عمرا رسمناه ليال

ذكراه حاضرة بالغدو والأصال
صارت اللحظات محض خيال

قال قلبه اشتكى
أتعبه أنين النوى
قلت عجبي من الهوى
باتت قصة حبنا ملهمته

نحن نحصد حر الأشواق
وهو على عرش الشعر استوى

سيأتي الفرح قريباً

سيأتي الفرح قريباً قالت أمي ذات مساء

وستغني لنا فيروز من جديد

فتحمل أرواحنا معها بقارب السلام

وننجو من الحياة

فلا دمع نزل إلا وسط دروبها

ولا فراق تم إلا فوق ترابها

ولا قلوب تشردت إلا على أرضفتها

ورغم ذلك، تعودنا شرب نبيذ الخسارات

ورفعنا شعار المسرات قائلين:

سيأتي الفرح قريباً

لا فرح يأتي ولا طبول تدق

إلا على أمواتنا من الشهداء

سيأتي الفرح قريبا قلت
وسيكون وجهك علامة بشراه
نظرت نحو السماء
وقد حل المساء
لأفرغ جيوبي من تعويدات الأمل
بعدهما رأيت نور الشمس يأفل



مائدة المساء

ما من مرة وضعت مخاويفي خلفي
إلا ووجدتها جائمة على صدري
كسر ثقيل عصي على النسيان

عند المساء أجلس على المائدة
أصغي للصمت وهو يخيط ثوب
الليل الأسود

أنظر للكراسي من حولي
وهي تجول بنظرها تجاه بعضها البعض
لا شيء يجمع بيننا سوى
دمعة على الخد
وبقايا وجبة حنين

عند المساء أجلس على المائدة
رغيف خبز بيدي اليمنى
وقلب صدئ بيدي اليسرى
وموسيقى هادئة يريكننا
وقع أنغامها على مسامعنا
إذ يحيي بنا ألف حنين وشجن

أتذكر وسط وجبة الأكل هذه
أن ما من مرة حضنت الحياة
إلا ووخزني جبنها

عند المساء أجلس على المائدة
أصغي للصمت وهو يخيط ثوب
الليل الأسود
فأدندن لحننا شرقي الأنين
وأكرر
اه يا ليلي اه يا عين

بواطن الله

كنت أعرف أن لا طريقا مشيناه معا
سيعيدنا معا لنفس الوجهة

كنت أعرف أنك تحمل هموما كثيرة
ترافق كأس قهوتك عند كل صباح
وأن حبنا ورطة كبيرة
لقلبين أضاعا خارطة الحياة

كيف سأقنع قلبي
وأي تنهيدة ستخفف عن روحي
ثقل الأيام العنيدة؟

كيف أهدهد الجراح الغائرة
وكيف أتوقف عن مناجاة وجهك
في ظلمة الليل الموحشة؟

لكني كنت أعرف
أن ما من مرة فرشت الأرض زهورا لفرح
إلا وكان من نصيب أقدام الحزن

أن تمشي عليها..

هكذا هي أقدار قصص الحب العربية
مشاعر تموت على حدود الكرامة
وقلب يستشهد في ميدان الآه

لكني كنت أعرف
أن لا وجهها إلا وجهك
من يكفكف على حياتي
غبار وجمع قديم

لكني كنت أعرف
أني لا أعرف سوى
أني أحبك
في الحضور وفي الغياب

وروايش الحب

يدور قلبي حولك
كما يدور كوكب حول شمسه

أسافر في الفضاء حاملة معي
عيناك وأغنية
وأزف لسكان السماء
بشرى بداية قصتنا
تماما كما يزف عاشق خبر عودته
بعد ليال شتاء شوق طويلة

دراويش نحن حين نحب
لا شيء يوقف اندفاع
مجري نهر مشاعرنا
ولا شيء يستحيل أمامنا

فرققا بنا أيها الحب
إن قلوبنا لا زالت بكر
تخرجها لمسة يد
وتحرقها قبلة

على جبين الشوق

في حضنك أرقص كما يرقص درويش

خلال لحظة وصل عاجلة

لا مهرب له من نفسه

ولا نجاة إلا بالانصهار داخلها



طبقات الغياب

عند غيابك يسدل قلبي ستائره

تغلق عينائي جفونها

وتتحد حواسي جميعها ضدي

مثل كوكب يدور في مداره

لا شأن له بمن سواه

لا شيء يتغلب على شوقي لك

لا برد لا رعد ولا مطر

لا صباح لا مساء ولا سحر

عند غيابك لا أجدني

إلا وسط لهيب الذكريات الحارق

فاتحد ونجمة في السماء تعانق

ليلها الغارق في سواده الحالك

لغيابك وقع الأه على جسد رضيع
ثم يألف بعد على عذاباته المنتظرة
غيابك ورطة كبيرة لقلب ثم يتعود
على خريف الأحزان حين تحل على بيت سعيد